خطبة بعنوان:

تأملات في قوله تعالى:

((ألهاكم التكاثر))

✍ لأبي عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي حفظه الله

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

اللّهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كمَا صَلّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ كمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ فِى الْعَالَمِينَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

{يَا أَيُهَا الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّه حَقّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنّ إلا وَأَنتُم مُسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُهَا النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُم مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتّقُوا اللّه الّذِي

تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأ َرْحَامَ إِنّ اللّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّه وَقُولُوا قَوْلا ً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللّه وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

أيها الناس:

يقول الله تعالى: {أَلْهَاكُمُ التّكَاثُر * حَتّى زُرْتُمُ الْمَقَابِر * كلا ّ سَوْفَ تَعْلَمُون * ثُمّ كلا ّ سَوْفَ تَعْلَمُون * كلا ّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِين * لَتَرَوُنّ الْجَحِيم * ثُمّ لَتَرَوُنّهَا عَيْنَ الْيَقِين ثُمّ لَتُسْأَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيم }[التكاثر:1-8]

في هذه السورة بيان لسبب غفلة كثير من الناس ولهولهم وبعدهم عن دينهم وهو كثرة الأموال والأولاد والتكاثر بها وفيها وعيد لمن التهى بدنياه عن آخرته وفيها إشارة إلى حقارة الدنيا التي ألهت الناس عن العمل لما ينفعهم وأن الموت سينغص عليهم عيشهم وتكاثرهم هذا, وتذهب كأن لم تكن بالأ مس وذلك في قوله تعالى: {حَتّى زُرْتُمُ الْمَقَابِر * كلا ّ سَوْفَ تَعْلَمُون }[التكاثر:2-3]

والتكاثر المذموم في هذه السورة هو التكاثر الذي يلهي عن طاعة الله وعما أوجب الله أما التكاثر في طاعة الله وجمع الأموال والرجال للجهاد في سبيل الله فهذا ممدوح كما سيأتي بيان ذلك.

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: "أَلْهَاكُمُ التّكاثُر" يَقُولُ تعَالَى: شَغَلَكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَتَعِيمُهَا وَزَهْرَتُهَا عَنْ طَلَبِ الآخِرَةِ وَابْتِغَائِهَا، وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتّى جَاءَكُمُ الْمَوْتُ وَزُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا؟! وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: {أَلْهَاكُمُ التّكَاثُرُ} فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كانُوا يَقُولُونَ نَحْنُ أَكْثَرُ مَنْ بَنِي فُلَانٍ وَنَحْنُ أَعَدُّ مَنْ بَنِي فُلَانٍ، وَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ يَتَسَاقَطُونَ إِلَى آخِرِهِمْ، وَاللهِ مَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتّى صَارُوا مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ كُلُّهُمْ.اهـ

وقال السعدي رحمه الله: يقول تعالى موبخًا عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته على كل شيء: {أَلْهَاكُمُ} عن ذلك المذكور {التَّكَاثُرُ} ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى. فاستمرت غفلتكم ولهوتكم وتشاغلكم {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} فانكشف لكم حينئذ الغطاء لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال

الصالحة. اهـ

وقال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[الحديد:20]

قال المفسر السعدي رحمه الله: أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها. بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرا ولم يجعلها مستقرا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة. اهـ

وقال المفسر القرطبي رحمه الله: (وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ) أَيْ يَفْخَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِهَا. وَقِيلَ: بِالْخِلْقَةِ وَالْقُوَّةِ. وَقِيلَ: بِالْأَنْسَابِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْمُفَاخَرَةِ بِالْآبَاءِ.. والدنيا لعب كلعب الصبيان. اهـ

وكل هذه الكثرة ذاهبة ومضمحلة ولن تصحب أصاحبها إلى قبورهم وآخرتهم إلا ما كان من أعمالهم الصالحة ,أو ما قدموا من هذه الأموال إلى الدار الآخرة فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قَالَ: " يَقُولُ ابْنُ آدَمَ:

مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ "

وكم حذرنا الله من الالتهاء بالأموال والأولاد عن طاعته ,وأخبرنا أنها ستكون ابتلاء وفتنة, فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[المنافقون:9].

قال المفسر البغوي رحمه الله: قال المفسرون لا تشغلكم عن الصلوات الخمس.

وقال المفسر الطبري رحمه الله: قال الحسن لا تشغلكم عن جميع الفرائض. اهـ

فعند الله من النعيم المقيم في الجنة خير من هذه الدنيا وما فيها بل لا تساوي موضع سوط في الجنة كما روى البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ِ صلى اللَّه عليه وسلم : "مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا".

فالأموال والأولاد فتنة وابتلاء قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيم}[التغابن:15]

وماعند الله هو الباقي قال سبحانه وتعالى:"فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" [الشورى : 36]

وقال تعالى: { قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}[الجمعة:11]

فالتكاثر في الأموال ليست ممدحة ولا منقبة, بل قد تكون سببا لشقاء العبد وطغيانه ومظنة انحرافه فإن أهل الدنيا من أهل الأموال والجاه الغالب فيهم أنهم من أبعد الناس عن دين الله وعن بيوت الله وأكثر تهاونا بالصلاة إلا من رحم الله,

وقال تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِير}[الشورى:27]

قال تعالى:" كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى" [العلق : 6 ، 7]

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان أن رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله. اهـ

ولهذا قال سبحانه وتعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِير}[الشورى:27]

قال ابن كثير: قال قتادة: كان يقال خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك .اهـ

فقليل من يشكر إذا كثر ماله ويصبر على طاعة ربه ويتواضع للخلق.

وكثير من أصحاب الأموال في الدنيا مفلسون من الحسنات

يوم القيامة إلا من وفقه الله فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ فَقَالَ: " يَا أَبَا ذَرٍّ" قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ :"مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ إِلا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ثُمَّ مَشَى فَقَالَ إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا مَنْ قَالَ بالمال هكذا وَهَكَذَا، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ». وفي رواية عند ابن ماجه وغيره:"إن الأكثرين هم الأسفلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا و هكذا ".

قال المناوي: الأكثرون مالا هم الأقلون ثوابا يوم القيامة ولم يتصدقوا.اهـ

فالحرص على الدنيا والتكاثر منها يفسد الدين كإفساد ذئبين جائعين في زريبة غنم بل أشد, لما روى الترمذي عن كعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ".

فقد كان من أسباب هلاك قارون كثرة ماله, وكان هلاك فرعون بملكه ,وهلاك الوليد بن المغيرة بسبب كثرة أولاده وسبب هلاك قوم نوح عليه السلام اتباع كبارئهم من الأغنياء أصحاب الأ

أموال.

فأما قارون فقد كثر ماله حتى صارت مفاتيح الخزائن يحملها العصبة من الرجال فخسف الله به وبداره وأمواله الأرض فما نفعته في الدنيا ولا أنجته من عذاب الله عنه قال تعالى: {إِنّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا َ تَفْرَحْ إِنّ اللّهَ لا َ يُحِبُ الْفَرِحِين * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللّهُ الدّارَ الآخِرَةَ وَلا َ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلا َ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأ َرْضِ إِنّ اللّهَ لا َ يُحِبُ الْمُفْسِدِين * قَالَ إِنّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنّ اللّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُ قُوّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا َ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُون * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنّهُ لَذُو حَظّ ٍعَظِيم * وَقَالَ الّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا َ يُلَقّاهَا إِلا ّ الصّابِرُون * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأ َرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِين * وَأَصْبَحَ الّذِينَ تَمَنّوْا مَكَانَهُ بِالأ َمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنّ اللّهَ يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا َ أَن مّنّ اللّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنّهُ لا َ يُفْلِحُ الْكَافِرُون } [القصص:76]

ففي هذه الآيات موعظة كافية شافية وعبرة وافية لأصحاب العقول المتعافية من قصة هذا الرجل كيف تكبر على غيره

وافتخر بماله وأعجب بذكائه فكان ذلك سبب هلاكه { وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُون}.

قال البغوي: قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال. وقال مجاهد: يعرفون بسيماهم.اهـ

وقال سبحانه عن قوم نوح: {قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا ّ خَسَارًا}[نوح:21]

قال المفسر الطبري رحمه الله: اتبعوا كبراءهم وأغنياءهم الذين لم يزدهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالا في الدنيا وهلاكا في الآخرة. اهـ

وقال نعالى عن الوليد بن المغيرة: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا ً مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيد * كلا ّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا }[المدّثر:11-16]

وقال تعالى عنه: {وَلا َ تُطِعْ كُلَّ حَلا ّفٍ مَّهِين * هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيم * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيم * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِين * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين }[القلم:10-15]

قال السعدي: أي لكثرة ماله وولده طغى واستكبر عن الحق ودفعه حين جاءه وجعله من جملة أساطير الأولين.اهـ

وقال ابن كثير: رزقه الله مالا واسعا كثيرا وجعل له بنين

شهودا. قال مجاهد: لا يغيبون عنه ,حضور عنده لا يسافرون بـ التجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويمتلي بهم. اهـ

فلم ينفعه شيء من ذلك لأنه ليس له عمل صالح ولم يشكر الله على ما أنعم عليه من هذه النعم.

فلا يعجب العبد بكثرة الأموال فإن حلالها حساب وحرامها عقاب وقلة المال خير عند الحساب فقد ثبت عن مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه، أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: " اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ:يكره الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلّةَ الْمَالِ، وَقِلّةُ الْمَالِ أَقَلّ لِلْحِسَابِ "

والأغنياء يتأخرون عن دخول الجنة للحساب لا سيما الذين لم يؤدوا حق المال, ويسبقهم الفقراء إلى الجنة بخمسمائة عام,فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أُسَامَةَ،رضي الله عنه , قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: « قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنّةِ فَإِذَا عَامّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدّ مَحْبُوسُونَ إِلا ّ أَصْحَابَ النّارِ فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النّارِ وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النّارِ فَإِذَا عَامّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ ». وأصحاب الجد هم أصحاب الغنى والحظ .

قال النووي: أصحاب الجد محبوسون هم أصحاب الحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها وقيل المراد أصحاب الولايات ومعناه محبوسون للحساب. اهـ

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام نصف يوم "

وقال الحافظ ابن بطال: وإنما صار أصحاب الجد محبوسون لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء فى أموالهم، فحبسوا للحساب عما منعوه، فأما من أدى حقوق الله فى أمواله، فإنه لا يحبس عن الجنة، إلا أنهم قليل، إذا كثر شأن المال ضيعت حقوق الله فيه؛ لأنه محنة وفتنة. اهـ

فلا تغتر يا عبد الله بكثرة ما أنعم الله على بعض الناس من الأموال فإنما هي فتنة لهم واختبار, وقد يكون الفقر خيرًا لك جعله الله لتنجو من عذابه , قال تعالى: {وَلا َ تَمُدَّنّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[طه:131]

ولا تتعجب من كثرة أموال الكافرين والمنافقين فإنما هي عذاب عليهم قال تعالى: {وَلا َ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا َ أَوْلا َدُهُمْ إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُون}[التوبة:55]

وقال سبحانه وتعالى: {وَالّذِينَ كذّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مّنْ حَيْثُ لا َ يَعْلَمُون * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنّ كَيْدِي مَتِين }[الأعراف:182]

قال الإمام السعدي: يقول تعالى: فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، لأنهم قدموها على مراضى ربهم، وعصوا الله لأجلها {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} والمراد بالعذاب هنا، ما ينالهم من المشقة في تحصيلها، والسعي الشديد في ذلك، وهمّ القلب فيها، وتعب البدن..، فهي - لما ألهتهم عن الله وذكره- صارت وبالا عليهم حتى في الدنيا. ومن وبالها العظيم ، أن قلوبهم تتعلق بها، وإرادتهم لا تتعداها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم و لا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب، فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا {وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}. اهـ

فكثرة الأموال لا يعني أن أصحابها سعداء ,فإن بعض الأغنياء تراهم في هم وقلق وضيق وعناء وترى الفقر بين أعينهم مع كثرة أموالهم فلا يجدون الراحة والسعادة فصارت أموالهم عذابا عليهم لأسباب كثيرة منها أنهم لم يعرفوا لله فيها حقا ولم يصلوا رحما ومنها أنها ألهتهم عن الواجبات وضيعوا الصلوات وتكبروا على المساكين وغير ذلك.

فقد روى الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ

شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا ۖ مَا قُدِّرَ لَهُ".

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السماوات وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان وأنزل علينا القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

أما بعد:

فاعلم يا عبد الله أن هذه الأموال ليست مكرمة ولا علامة على محبة الله للعبد فإنه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لحكمة يعلمها سبحانه,فقد أعطاها لقارون وفرعون ومنعها عن خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ,فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من يحب ,ولقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا". وفي رواية:" كفافا" أي:ما يكفيهم بلا زيادة ولا نقصان و الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه

فالميزان إذن عند الله الذي يوزن به العباد هو الإيمان والتقوى قال تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحُجُرات:13] ولم يقل أكثركم مالا أو أشرفكم جاها

ونسبا.

روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنّ اللّه َ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ». وفي رواية :"ولا إلى أموالكم"

فلا تظن إذا أعطاك الله مالا أنه قد أحبك أو لأنك عبد صالح ,أو أنك تستحق وغيرك لا يستحق ,أو أن هذا المال سينجيك من عذاب الله,فإن الأموال لا تقرب صاحبها من الله إلا إذا أنفقها في مرضاته قال تعالى: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا ً وَأَوْلا َدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذّبِين * قُلْ إِنّ رَبّي يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لا َ يَعْلَمُون * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا َ أَوْلا َدُكُم بِالّتِي تُقَرّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلا ّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُون }[سبأ:35-37]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: افْتَخَرُوا بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، وَاعْتَقَدُوا أَنّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبّةِ اللّهِ لَهُمْ وَاعْتِنَائِهِ بِهِمْ، وَأَنّهُ مَا كَانَ لِيُعْطِيَهُمْ هَذَا فِي الدّنْيَا، ثُمّ يُعَذّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَهَيْهَاتَ لَهُمْ ذَلِكَ... فرد الله عليهم {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالّتِي تُقَرّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى} أَيْ: لَيْسَتْ هَذِهِ دَلِيلًا عَلَى مَحَبّتِنَا لَكُمْ، وَلَا اعْتِنَائِنَا بِكُمْ. إنما يقربكم عندنا الإيمان والعمل الصالح. اهـ

وقال السعدي: قالوا الذي أعطانا الأموال في الدنيا سيعطينا

أكثر في الآخرة ولا يعذبنا. اهـ

وهذا قياس فاسد فإنما هي ابتلاء في الدنيا وقد يكون ذلك إم لاءً لهم ليزدادوا إثما,أواستدراجا وعذابا ليهلكهم في الدنيا الآ خرة

قال تعالى:"وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ [آل عمران : 178]

وقال تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا ّ يَشْعُرُون } [المؤمنون:55-56]

قال البغوي: أي إن ذلك استدراج لهم. اهـ

وقال السعدي: إنما يملي لهم ويمدهم بالنعم ليزدادوا إثما وليتوفر عقابهم في الآخرة. اهـ

وقال ابن كثير: قد كان من هو أكثر من قارون مالا وما كان ذلك عن محبة تناله وقد أهلكهم الله بكفرهم وشركهم. اهـ

فلا تنظر إلى كثرة الأموال ولكن انظر إلى كثرة الإيمان والدين والصلاح ,ولا تنظر إلى أصحاب الدنيا والأموال فتحتقر نعمة الله عليك ولكن انظر إلى أصحاب الدين والصلاح تعرف تقصيرك لتحلق بهم وتسابقهم بالأعمال الصالحة.

قال صلى الله عليه وسلم: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وليس كثرة المال مذموما على إطلاقه فقد يكون خيرا لصاحبه إذا صرفه فيما أباح الله ,وفي طاعة الله وفي أبواب الخير وفي باب الجهاد في سبيل الله, فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" نعم المال الصالح للعبد الصالح". رواه أحمد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

نسأل الله أن يرزقنا المال الصالح والعمل الصالح و الرزق الطيب .

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا غاية مطلبنا ولا إلى النار مصيرنا واجعل الجنة دارنا.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

والحمد لله ب العالمين.